

كيفية تحديد التوقع الأبيستمولوجي للدراسات في علوم التسيير

د/عماد سعادي
جامعة بسكرة

تاريخ الإرسال: 11-11-2017 تاريخ القبول: 27-10-2018 تاريخ النشر: 10-12-2018

الملخص :

Abstract :

This research paper aims to shed light on the importance of systemizing the epistemological thought while conducting a management scientific research. It goes through specifying types of epistemological philosophies, approaches, methods, as well as determining strategies and data collection tools.

Keywords :

philosophy, approach, method, strategy, data collection tools.

تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على ضرورة تنظيم التفكير المنهجي أثناء القيام بالبحوث في علوم التسيير، وذلك من خلال التطرق بشيء من التفصيل إلى كيفية تحديد التوقع الأبيستمولوجي الواجب تتيحه من قبل الباحث في بحوثه في علوم التسيير، من خلال التعرف على أنواع الفلسفات الأبيستمولوجية للدراسة، مقاربات الدراسات، المناهج، بالإضافة إلى تحديد استراتيجيات الدراسة وأيضاً المفاضلة بين أدوات جمع البيانات.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، المقاربة، المنهج، الاستراتيجية، أدوات جمع البيانات.

مقدمة

أصبح من الضروري الاهتمام بالتفكير الأبيستمولوجي للقيام بالبحوث في أي علم وذلك بهدف إضفاء صفة الشرعية والقبول على العمل العلمي والنتائج المستخلصة منه. لذلك، يجدر بالبحوث التي يقوم بها الباحثون في أي علم من العلوم، بما فيها علم التسيير، أن تعتمد على الأبيستمولوجيا لتنظيم وتحديد كيفية التفكير تجاه موضوع البحث، فالتوقع الأبيستمولوجي هو ما يمكن الباحث من طرح الإشكالية والأسئلة المناسبة، بالإضافة إلى معرفة ما يريده من نتائج عند الانتهاء من بحثه. لذلك لا يقل تحديد التوقع الأبيستمولوجي للبحث أهمية عن متغيرات الدراسة أو أدوات جمع البيانات أو أي شيء آخر له علاقة بالبحث.

ومصطلح أبيستمولوجيا (Epistemology) مكون من كلمتين يونانيتين هما: "Episteme" التي تعني المعرفة أو العلم، و"Logos" التي تعني المعرفة، النظرية أو المعلومات، لتعني كلمة أبيستمولوجيا "علم المعرفة".¹ وتتطوي الأبيستمولوجيا على "دراسة الحالات (أو المعايير) التي بواسطتها نستطيع معرفة ما يمكنه وما لا يمكنه بناء المعارف المرغوبة"²، وذلك يشير إلى أن الأبيستمولوجيا تعني "معرفة المعرفة".

وقد ظهر هذا المصطلح في القرن السابع عشر ميلادي ليعبر عن علم ظهر مصاحبا لمختلف العلوم التي تطورت آنذاك في أوروبا.³ وتكمن أهميته في كون فهم أي علم من العلوم يتطلب فهما مسبقا لخصوصية ذلك العلم بحقائقه، مكوناته والمؤثرات فيه، ليظهر علم الأبيستمولوجيا الذي يعبر عن علم المعرفة أو علم العلم.

قد يكون الباحث في علم التسيير على دراية بأهمية تحديد التوقع الأبيستمولوجي لبحثه بغية تنظيم أفكاره ومعرفة ماذا يريد من نتائج، لكن قد يجد إشكالا في كيفية تحديد ذلك التوقع الخاص ببحثه، خاصة مع كثرة المصطلحات وتداخل المستويات الأبيستمولوجية. لذلك، تحاول هذه الدراسة معالجة تلك المشكلة من خلال طرح التساؤل التالي: "كيف يمكن تحديد التوقع الأبيستمولوجي للبحوث في علوم التسيير؟".

إن للأبيستمولوجيا عدة مستويات ينبغي للباحث مراعاتها بحيث يتوجب عليه أن يحدد تمركز بحثه في كل مستوى من تلك المستويات، فإذا انتهى من ذلك، يكون عندها قد تمكن من تحديد التوقع الأبيستمولوجي لبحثه وبدقة. ويوضح الشكل رقم (1) أبرز مستويات التوقع الأبيستمولوجي للدراسات، والتي تمثل أيضا عناصر هذه الورقة البحثية.

الشكل رقم (1): مستويات التوقع الأبيستمولوجي للبحوث.



المصدر: من إعداد الباحث.

1 E. Khin and T. Heng (2012) Epistemological taxonomy in management & accounting research philosophy. *Актуальні проблеми економіки*, no. 5, p331.

2 Idem.

3 Idem.

1. تحديد الفلسفة الأبيستمولوجية للبحث

إن أول شيء يتوجب على الباحث القيام به هو تحديد الفلسفة الأبيستمولوجية (Philosophy) التي ينتمي بحته إليها، وترتبط فلسفة البحث بتطوير المعارف وبناء المعارف الجديدة. وقد يشمل ذلك تطوير نظرية أو مقاربة جديدة كما يشمل الإجابة على إشكالية معينة في جانب معين من المعارف.

في علوم التسيير، يمكن للباحث بناء بحته انطلاقاً من عدة فلسفات أبيستمولوجية أهمها: الفلسفة الوضعية، الفلسفة الواقعية، الفلسفة التفسيرية والفلسفة البراغمية.

1. الفلسفة الوضعية

تعتبر الفلسفة الوضعية (Positivism) أهم الفلسفات الأبيستمولوجية المستعملة في العلوم الطبيعية، وقد تطورت مع تطور علم الفيزياء خلال ما يعرف بعصر التنوير⁴ في القرن الثامن عشر ميلادي في أوروبا. ويشير Saunders et al إلى أن البحث العلمي وفق الفلسفة الوضعية يقتضي العمل على المتغيرات أو الحقائق الملاحظة والمكونة للظاهرة المدروسة، بحيث تتمثل مخرجات ذلك البحث العلمي في نتائج قابلة للتعميم على باقي الظواهر المماثلة للظاهرة المدروسة⁵. كما يمكن اعتبار تلك النتائج القابلة للتعميم حقائق علمية ذات علاقة بالظاهرة المدروسة، وقد تتطور لتصبح نظريات علمية.

كما وتقوم هذه الفلسفة على الملاحظة (Observation) التي تمكن الباحث من معرفة المكونات الحقيقية للظاهرة المدروسة، بالإضافة إلى القيام بالتجارب (Experiments) لمعرفة علاقات التأثير والتأثر بين مختلف متغيرات الظاهرة المدروسة، إذ يؤكد Khin و Heng أن التجريب عامل مهم في الفلسفة الأبيستمولوجية الوضعية⁶.

2. الفلسفة الواقعية

تقوم الفلسفة الواقعية (Realism) على فكرة مفادها أن ما تتلقاه حواسنا من معلومات ومعارف هو الواقع⁷. وتختلف هذه الفلسفة عن الأخرى الوضعية في كون الباحث يستعمل الملاحظة في بحته للاطلاع على واقع الظاهرة المدروسة ومكوناتها بدون القيام بتجارب أو عمليات تأثير عليها.

وللفلسفة الواقعية نوعان: الواقعية المباشرة (Direct realism) التي تقوم على ملاحظة الظاهرة المدروسة ومكوناتها واستخلاص المعلومات والمعارف من هذه الملاحظة، والواقعية النقدية (Critical realism) التي تذهب إلى أبعد من ملاحظة الظاهرة المدروسة⁸ لتركز على اكتساب معلومات أو معارف أخرى ذات علاقة بتلك الظاهرة، كأسباب نشوئها، طبيعة العلاقة بين مكوناتها ومدى أهميتها وعلاقة الظاهرة بظواهر أخرى ذات الصلة وغيرها من المعارف. فالواقعية النقدية تفترض أن تكون الحقائق أبعد من مجرد ما تشعر به الحواس، كما تذهب إلى أبعد من الحقائق المجردة⁹.

4 E. Khin and T. Heng, Op.cit., p332.

5 M. Saunders et al (2009) *Research methods for business students*. 5th Ed. UK: Pearson Education. p113.

6 E. Khin and T. Heng, Loc.cit.

7 M. Saunders et al, Op.cit., p114.

8Ibid., p114-115.

9 E. Khin and T. Heng, Op.cit., p335.

ويشير Saunders et al إلى أنه في بحوث علم التفسير، وإذا كان الباحث سينتهج الفلسفة الواقعية، فالأنسب له أن يتبع الواقعية النقدية¹⁰، لأنه لا يمكن دراسة الظواهر التنظيمية باستقلالية عن بعضها البعض؛ فلا تتم دراسة ظاهرة تنظيمية معينة إلا إذا تم الاطلاع على واقع علاقتها بباقي الظواهر، موقعها في الهيكل التنظيمي إذا أمكن و/أو أهميتها بالنسبة للمؤسسة، فضلاً عن إمكانية احتواء الظاهرة المدروسة على مكونات تمثل جزءاً من ظاهرة تنظيمية أخرى، وغيرها من الأسباب. فكل ذلك يجعل من الفلسفة الواقعية النقدية أفضل من الأخرى المباشرة في البحث العلمي في علم التفسير.

3. الفلسفة التفسيرية

تشير الفلسفة التفسيرية (Interpretivism) إلى ضرورة فهم الاختلافات في سلوكيات البشر وبالتالي اختلاف تأثيرها في الظاهرة المدروسة. فعلى عكس الفلسفتين السابقتين اللتين تركزان على الظاهرة ومكوناتها، فإن الفلسفة التفسيرية تركز على "المؤثر الاجتماعي" (Social actor) ممثلاً في الإنسان والتنوع السلوكي الذي يؤثر في الظاهرة المدروسة¹¹. فمثلاً، دراسة مكان العمل الذي يضم عاملين معينين باستعمال الأبعاد: المناخ التنظيمي، الإنتاجية والتنظيم، ستختلف من حيث النتائج عن دراسة نفس مكان العمل بنفس الأبعاد ولكن باختلاف العاملين. ويفسر ذلك بتنوع الذهنيات والسلوكيات التي تختلف من شخص لآخر. وتستعمل هذه الفلسفة في العلوم الاجتماعية بالدرجة الأولى، ويشير Saunders et al إلى ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية وفهمها من منظور العاملين أو البشر المكونين لتلك الظواهر¹²، بالإضافة إلى تفسيرها انطلاقاً من الاختلاف في الذهنيات والسلوكيات.

4. الفلسفة البراغماتية

حسب Saunders et al، فإن الفلسفة البراغماتية (Pragmatism) تعني المزج بين مختلف الفلسفات الأبيستمولوجية في بحث علمي واحد. وتفترض هذه الفلسفة أن المحدد الرئيسي للأبيستمولوجيا والأنطولوجيا هو تساؤلات الدراسة¹³؛ فطبيعة التساؤلات التي توضع في بداية البحث العلمي هي التي تحدد أي فلسفة أبيستمولوجية سيتم الاعتماد عليها للإجابة على تلك التساؤلات. كما أن تنوع أسئلة الدراسة للإحاطة بالظاهرة المدروسة إحاطة جيدة من شأنه أن يظهر الحاجة إلى تبني عدة فلسفات أبيستمولوجية تساعد في الحصول على نتائج ومعارف أكثر شمولية عن الظاهرة المدروسة.

II. اختيار المقاربة المناسبة للبحث

بعد تحديد الفلسفة الأبيستمولوجية للدراسة، يتوجب تحديد المقاربة (Approach) التي تناسب توجه الدراسة وأسئلتها، وهنا يتم إعداد البحث العلمي استناداً إلى واحدة من أربعة مقاربات هي: المقاربة الاستنباطية، المقاربة الاستقرائية، مقاربة الإبعاد ومقاربة الاستنباط الافتراضي.

1. الاستنباط

الاستنباط (Deduction) هو المقاربة التي تقتضي الوصول إلى نتائج متوقعة بواسطة حقائق أو نظريات معروفة ومعممة مسبقاً¹⁴. ويعني ذلك أن يتم استعمال الحقائق والنظريات

10 M. Saunders et al, Op.cit., p115.

11 Ibid., p116.

12 Idem.

13 Ibid., p109.

14 U. Sekaran (2003) *Research methods for business: A skill-building approach*. 4th Ed. USA: John Wiley & Sons. p27.

الخاصة بجميع الظواهر المتماثلة في دراسة الظاهرة محل الدراسة، مع توقع أن تُظهر دراسة تلك الظاهرة نفس الحقائق والنظريات المعممة حول مثيلاتها من الظواهر. ويكون منطق المقاربة الاستنباطية كما يلي:¹⁵

1. جميع الظواهر " α " تمتلك الخاصية " β ";
2. الظاهرة " μ " تنتمي إلى مجموعة الظواهر " α ";
3. إذاً الظاهرة " μ " تمتلك الخاصية " β ".

كمثال على ذلك، إذا كان جميع خريجي جامعة هارفارد للأعمال متميزين في مجال اختصاصهم على مستوى العالم، وصادفنا شخصاً متخرجاً من جامعة هارفارد للأعمال، عندها نستنتج أن ذلك الشخص من المتميزين في مجال اختصاصهم على مستوى العالم. ويستعمل الاستنباط بكثرة في علوم الرياضيات، أين يتم استعمال القوانين العديدة الخاصة بالجبر والهندسة لاستنباط النتائج لأمثلة أو حالات ذات علاقة بتلك العلوم، مع توقع مسبق لتلك النتائج.

2. الاستقراء

الاستقراء (Induction) مقارنة تقتضي ملاحظة ظاهرة أو عدة ظواهر متماثلة لدراستها، ثم الخروج بنتائج تلاحظ في جميع الظواهر بغرض تعميمها¹⁶. بمعنى أن الاستقراء ينطلق من الخاص إلى العام لاستخلاص نتائج قابلة للتعميم ومبنية على حقائق مشاهدة. ويكون منطق المقاربة الاستقرائية كما يلي:

1. الظاهرة " μ " تنتمي إلى مجموعة الظواهر " α ";
2. الظاهرة " μ " تمتلك الخاصية " β ";
3. إذاً جميع الظواهر " α " تمتلك الخاصية " β ".

فمثلاً، إذا تمت ملاحظة عدة مؤسسات تنقضي بسبب نقص أو انعدام السيولة، وتكررت تلك الملاحظة عدة مرات، عنها يمكن استقراء أن جميع المؤسسات في العالم، ومهما كان نوعها أو حجمها، تحتاج إلى المصادر المالية حتى تبقى في مجال أعمالها. وتستعمل المقاربة الاستقرائية بكثرة في علوم الفيزياء، الكيمياء والعلوم الطبيعية، أين يستطيع الباحث القيام بملاحظة حالة واحدة أو القيام بتجربة عليها، ليخرج بنتائج يمكن له أن يعممها على باقي الحالات أو الظواهر المماثلة.

3. الإبعاد

يُعتبر الإبعاد (Abduction)، الذي يسمى أيضاً الاستقراء الافتراضي (Hypothetical induction)¹⁷، مقارنة تم تطويرها في القرن التاسع عشر ميلادي من طرف الفيلسوف الأمريكي Charles Peirce، وذلك كمقاربة ثالثة إلى جانب الاستقراء والاستنباط.¹⁸ وقد تم تطوير هذه المقاربة لتخليص البحث العلمي من إلزامية الانطلاق من التعميم أو القواعد كما في الاستنباط، وأيضاً إلزامية الوصول إلى تعميم النتائج كما في الاستقراء.

15 J. Adams et al (2007) *Research methods for graduate business and social science students*. 1st Ed. USA: Sage Publications. p30.

16 U. Sekaran, Loc.cit.

17 V. Jupp (2006) *The Sage dictionary of social research methods*. 1st Ed. UK: Sage Publications. p146.

18 P. Dobson et al (2012) Eureka moments in research: Exploring abductive processes using four case examples. 23rd Australasian Conference on Information Systems, Geelong, Australia, December 3-5, 2012. p2.

فيكفي الباحث أن يقرر دراسة العلاقة بين الظواهر بالاعتماد على كيفية تفكيره تجاه ذلك الموضوع، ثم يضع الفرضيات التي يراها مناسبة لذلك البحث، وليس بالاعتماد على النظريات والحقائق العلمية التي من شأنها أن تقيد البحث العلمي في كيفية التفكير تجاه الموضوع، وضع الفرضيات وضرورة منطقية النتائج، فضلا عن النظر في إمكانية تعميمها. فالإبعاد يحذر الباحث من كل تلك القيود ليوفر له الفرصة للبحث في الظواهر من منظوره الشخصي، ولذلك الأمر تُعتبر مقارنة الإبعاد عملية توليد أفكار أو فرضيات جديدة¹⁹، وتُستعمل لاستكشاف أشياء جديدة في الموضوع، متغيرات أخرى في الظواهر وأيضا علاقات جديدة بين المتغيرات²⁰. ويكون منطق مقارنة الإبعاد كما يلي:

1. جميع الظواهر " α " تمتلك الخاصية " β ";
2. الظاهرة " μ " تمتلك الخاصية " β ";
3. إذا الظاهرة " μ " تنتمي إلى مجموعة الظواهر " α ".

وتستعمل مقارنة الإبعاد في العلوم الاجتماعية عندما يهتم الباحث بظاهرة معينة، بحيث يكون متأكدا من أن تلك الظاهرة لم يكن وجودها عرضيا أو عابرا، بل هي ظاهرة موجودة وبشكل مستمر، ويجب دراستها رغم عدم توافر النظريات الخاصة بها والتي تساعد في دراستها.²¹

4. الاستنباط الافتراضي

تعد مقارنة الاستنباط الافتراضي (Hypothetico-deductive approach) نوعا من الاستنباط، بحيث لا يركز البحث العلمي وفقها على مصادر النظريات والفرضيات التي سيبدأ منها كما هو الحال في المقاربة الاستنباطية، بل يركز فقط على الأفكار التي ستم دراستها لاختبارها وتبريرها.²²

وتناسب هذه المقاربة العلوم الاجتماعية أكثر، أين لا يكون الباحث مجبرا على الانطلاق من نظريات أو فرضيات معمة ومثبتة مسبقا كما في المقاربة الاستنباطية، فيكفي أن يحدد إشكالية دراسته المستوحاة من الإطار النظري لتلك الدراسة، ثم يضع فرضيات تخص الظاهرة التي سيدرسها أو العلاقة بين متغيرات الدراسة، ليعمل فيما بعد على اختبار تلك الفرضيات في أرض الواقع والخروج بنتائج تتعلق بإشكاليته. ويتم البحث العلمي وفق مقارنة الاستنباط الافتراضي في الخطوات التالية:²³

1. الملاحظة؛
2. جمع المعلومات الأولية حول الظاهرة؛
3. تشكيل النظرية؛
4. وضع الفرضيات؛

19 P. Eriksson and A. Kovalainen (2008) *Qualitative Methods in Business Research*. 1st Ed. London: Sage Publications. p23

20 A. Olsson and M. Olander (2005) Multi theoretical perspectives in an abductive action research study. 17th Annual NOFOMA Conference, Copenhagen, Denmark, June 9-10, 2005. p4.

21 J. Friedrichs and F. Kratochwil (2009) On acting and knowing: how pragmatism can advance international relations research and methodology. *International Organization*, Vol. 63, No. 04, p709.

22 J. Gill and P. Johnson (2002) *Research methods for managers*. 3rd Ed. London: Sage Publications. p39.

23 U. Sekaran, Op.cit., p29.

5. جمع البيانات اللازمة للدراسة؛
6. تحليل البيانات؛
7. الاستنباط، أي الوصول إلى نتائج وترجمتها وفقا لنظريات أو حقائق معممة خاصة بالظاهرة المدروسة.

ويشير Saunders et al إلى أن الاستنباط الافتراضي يستعمل أيضا في اختبار مدى استمرارية صحة نظرية معينة، وذلك بتطبيقها في حالة أو عينة من الحالات واختبارها²⁴ بغرض إما تأكيدها، نفيها أو تعديلها من خلال إضافة معارف جديدة إليها.

III. تحديد منهج الدراسة

إذا كانت تحديد الفلسفة والمقاربة مبنيا على الأسئلة التي يريد الباحث طرحه في بحثه، فإن المنهج يتحدد بالهدف من القيام بالبحث العلمي. ويشير Saunders et al إلى أن أهداف البحث العلمي لا تخرج على العموم عن الوصف، الاستكشاف و/أو التفسير²⁵. بمعنى أن أهداف الدراسة تكون إما لوصف الظاهرة المدروسة، لاستكشاف ظاهرة حديثة النشوء أو ظاهرة موجودة من قبل ولكن بتطورات جديدة أو لتفسير العلاقة بين ظاهرتين أو عدة ظواهر ومدى تأثيرها على بعضها البعض.

معنى ذلك أنه توجد ثلاثة مناهج يمكن استعمالها للقيام بالبحوث في علوم التسيير وهي: المنهج الوصفي، المنهج الاستكشافي والمنهج التفسيري.

1. المنهج الوصفي

تقوم الدراسات الوصفية (Descriptive studies) على تقديم وصف دقيق للظاهرة المدروسة، فتهتم بإعطاء نظرة واضحة حول ما هي الظاهرة أو المشكلة المدروسة، مكوناتها وأسبابها. ويشير McCartan وRobson إلى أن الدراسات الوصفية تهدف على وجه العموم إلى الإجابة على الأسئلة من نوع "ماذا" (What)، بالإضافة إلى "من، أين ومتى"²⁶.

معنى ذلك أن الدراسات ذات المنهج الوصفي هي تلك التي تكون إشكالياتها أو أسئلتها من نوع "ماذا" أو "ما"، مثل: "ما الأنماط القيادية السائدة في المؤسسة محل الدراسة؟"، "ما هي مظاهر التسيير بالعلاقة مع الزبون الموجودة في المؤسسة؟" وغيرها من الأسئلة المشابهة.

وتتلخص أهداف الدراسات الوصفية فيما يلي:²⁷

- جمع معلومات حقيقية ومفصلة لظاهرة موجودة فعلا في مجتمع معين؛
- تحديد المشاكل الموجودة أو توضيح بعض الظواهر؛
- ملاحظة ما يفعله الأفراد في مشكلة ما والاستفادة من آرائهم وخبراتهم في وضع تصور وخطط مستقبلية، واتخاذ قرارات مناسبة في مشاكل أخرى ذات طبيعة مشابهة؛

24 M. Saunders et al, Op.cit., p125.

25 Ibid., p139.

26 C. Robson & K. McCartan (2016) *Real world research*. 4th Ed. Italy: John Wiley & Sons. p60.

27 عمار بوحوش ومحمد محمود الذنبيات (2011) *مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث*. ط6. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ص139.

• تقييم الظواهر والمساعدة في إجراء دراسات مقارنة بين الظواهر المتماثلة.

وتعتبر الدراسات ذات المنهج الوصفي جزءاً من الدراسات ذات المنهج الاستكشافي²⁸ والذي سيتم التطرق إليه كمنهج آخر من مناهج البحث العلمي.

2. المنهج الاستكشافي

تهتم الدراسات الاستكشافية (Exploratory studies) بالدرجة الأولى بتحديد "ماذا يحدث" في الظاهرة المدروسة وذلك بغرض الحصول على نظرة متعمقة حولها وفهم ماهيتها ولكن بمنظورات جديدة للحصول على أفكار أو نتائج جديدة حول الظاهرة المدروسة.²⁹ فما تضيفه الدراسات ذات المنهج الاستكشافي عن الدراسات ذات المنهج الوصفي هو الحصول على معلومات جديدة من الظاهرة المدروسة، ويكون ذلك بسبب خلفيات ذاتية للباحث عن الموضوع، حدوث تطورات في الظاهرة المدروسة أو تطور أساليب وأدوات البحث العلمي وإتاحتها للقيام بالبحوث أو لغيرها من الأسباب التي تمكن الباحث من الحصول على نظرة جديدة تساهم في توسيع النظرة إلى الظاهرة المدروسة مع الأفكار والمعلومات السابقة الخاصة بها. وتتم الدراسات الاستكشافية بثلاث طرق هي:³⁰

1. البحث في الدراسات السابقة حتى يعرف الباحث كيف يفكر تجاه الموضوع؛
2. القيام بمقابلات مع المختصين في الموضوع؛
3. القيام بمقابلات مع مجموعات التركيز ذات العلاقة بالموضوع.

3. المنهج التفسيري

الدراسات التفسيرية (Explanatory studies) هي الدراسات التي تهدف إلى البحث في علاقات التأثير والتأثر بين متغيرين أو أكثر³¹، فيعمل الباحث وفق هذه الدراسة على تحديد العلاقة بين المتغيرات، هل هي طردية أم عكسية، وأيضا تحديد الارتباط فيما بينها لمعرفة مدى تأثير المتغيرات ببعضها البعض.

هذا النوع من المناهج يستعمل بكثرة في علوم التسيير، إذ يميل الباحثون في هذا المجال إلى تفسير علاقات الربط والتأثير فيما بين مختلف مظاهر الحياة في المؤسسة، وعلى سبيل المثال، فإن الدراسات التي تأتي بعنوانين مثل: "مساهمة الثقافة لتنظيمية في تبني إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة"، "أثر القيادة الإدارية على السلوك التنظيمي"، "دور تسيير المعارف في الميزة التنافسية للمؤسسة" وغيرها من الدراسات المماثلة يجدر بها أن تكون ذات منهج تفسيري للإحاطة بمتغيرات الدراسة والبحث في علاقات الربط فيما بينها وأيضا مدى تأثير المتغيرات المستقلة على الأخرى التابعة، ومن ثم تفسير تلك العلاقة فيما الظواهر المدروسة للخروج بنتائج من شأنها أن تضيف شيئا في الجانب المعرفي.

IV. اختيار استراتيجية الدراسة

28 M. Saunders et al, Op.cit., p140.

29 Ibid., p139.

30 Ibid. p140.

31 Idem.

بعد تحديد الفلسفة الأبيستمولوجية للبحث والمقاربة والمنهج المناسبين، يتوجه الباحث إلى المفاضلة بين الاستراتيجيات التي سينتهجها لإتمام بحثه. ويراد بمصطلح "استراتيجية" (Strategy) هنا الطريقة التي من خلالها سيقوم الباحث بالدراسة الميدانية والتي تؤدي إلى اختيار أدوات جمع البيانات من مكان الدراسة الميدانية. وفي علم التسيير، توجد عدة استراتيجيات بحث يمكن الاعتماد عليها للإجابة على إشكالية الدراسة والأسئلة المرافقة لها، أهمها: دراسة الحالة، الاستطلاع والتجريب.

1. دراسة الحالة

تعتبر دراسة الحالة (Case study strategy) استراتيجية للقيام بالبحوث التي تتضمن استكشاف ظاهرة معينة على طبيعتها، أي كما هي موجودة في المكان الذي تنتمي إليه³². كما وتعرف بأنها مقارنة يتم بواسطتها استكشاف ظاهرة معينة أو عدة ظواهر بعمق أكبر، مع العلم أن "الحالة" قد تتمثل في: فرد واحد، حدث، نشاط اجتماعي، مجموعة أفراد أو مؤسسة³³.

وتناسب استراتيجية دراسة الحالة كلا من الدراسات الوصفية، الاستكشافية والتفسيرية، ويشير Jupp إلى أن هذه الاستراتيجية تستعمل بكثرة في الدراسات التفسيرية التي يراد بها دراسة علاقات التأثير والتأثر فيما بين المتغيرات³⁴. كما وترتبط هذه الاستراتيجية بعدة أدوات لجمع البيانات مثل الاستبيان، بالإضافة إلى المقابلات، الملاحظة وتحليل المستندات (الأرشيف)³⁵، وهذا ما يعرف بـ "التنسيق"³⁶ (Triangulation) الذي يعني استعمال أدوات متعددة لجمع البيانات بنوعها الكمي والنوعي في دراسة حالة واحدة³⁷، وذلك للتأكد من الترجمة الصحيحة للبيانات والخروج بنتائج تعبر فعلاً عن واقع الظاهرة المدروسة. ويشير Saunders et al إلى أنه إذا تم الاعتماد على استراتيجية دراسة الحالة، يجدر بالباحث القيام بعدة دراسات حالة (Multiple case studies) بدل القيام بدراسة حالة واحدة، لأن ذلك يعطي القدرة على تعميم نتائج الدراسة إذا كانت متماثلة في جميع الحالات المدروسة³⁸. ويضيف الباحثون أن أسباب القيام بدراسة حالة واحدة محدودة جداً، كأن تكون تلك الحالة فريدة من نوعها ولا توجد مثيلاتها في حالات أخرى³⁹، مثل دراسة موضوع "أسلوب تويوتا في التسيير" (The Toyota way)، فهذا الموضوع يتم بدراسة حالة مؤسسة تويوتا فقط لكونها حالة فريدة ولا توجد في باقي المؤسسات.

2. الاستطلاع

تناسب استراتيجية الاستطلاع (Survey strategy) المقاربة الاستنباطية والبحوث الاستكشافية والوصفية أكثر⁴⁰، وهي استراتيجية معروفة وكثيرة الاستعمال في بحوث علم التسيير، لكونها تساعد على الإجابة على عدة أنواع من الأسئلة مثل: من، كيف، ما عدد، ماذا

32Ibid., p145.

33 V. Jupp, Op.cit., p20.

34Ibid., p21.

35 M. Saunders et al, Op.cit., p146.

³⁶ أو "المثلية" أو "التثنية".

37 Idem.

38Ibid., p146-147.

39Ibid., p146.

40Ibid., p144.

وأين، كما تمكن الباحث من جمع البيانات الكمية والنوعية حول الظاهرة المدروسة من المجتمع محل الدراسة.

ويشير Gillham إلى أن الاستطلاع ودراسة الحالة مرتبطان ببعضهما البعض، فغالبا يتم استعمالهما مع بعضهما في بحوث التسيير، فالاستطلاع يوفر بيانات كثيرة ومتنوعة في حين توفر دراسة الحالة بيانات أكثر دقة وتعمقا للظاهرة المدروسة⁴¹، وهذا من شأنه أن يمكن الباحث من الإحاطة بالحالة المدروسة بشمولية أكثر.

أما أدوات جمع البيانات التي تدخل ضمن هذه الاستراتيجية فهي: الاستمارة (أو الاستبيان)، الملاحظة المهيكلية (المنظمة) والمقابلات المهيكلية.⁴²

3. التجريب

يعتبر التجريب (Experiment) من أولى الاستراتيجيات التي تم اعتمادها للقيام بالبحوث، ويستعمل لفهم علاقات "الأثر والسبب" (Cause-and-effect relationships) فيما بين المتغيرات؛ أي فهم كيف أن التطور في متغير معين يؤثر في تطور متغير أو متغيرات أخرى، فيقوم الباحث هنا بالتغيير أو التحكم في متغير من متغيرات التجربة (ويسمى المتغير المستقل) لمعرفة كيف يؤثر ذلك في المتغير أو المتغيرات الأخرى (وتسمى المتغيرات التابعة).

وتناسب استراتيجية التجريب مقارنة الاستقراء بالدرجة الأولى، لأن الهدف الأساسي من القيام بالتجارب هو الخروج بنتائج قابلة للتعميم على باقي الظواهر المماثلة. ويتم انتهاز التجريب بكثرة في العلوم الطبيعية مثل: علم التشريح، الكيمياء وعلم الحيوان وغيرها، كما يمكن استعمال التجريب في علم التسيير، فعلى سبيل المثال، في مجال التسويق يكمن تغيير المكافآت المالية المقدمة لرجال البيع لمعرفة علاقتها بحجم مبيعاته، كما أن اختبارات التسويق التي تقوم بها المؤسسة لاختبار جدوى منتوجها الجديد في السوق هو نوع من أنواع التجريب.⁴³

تجدر الإشارة إلى أن جميع استراتيجيات البحث مناسبة للمناهج الثلاثة المذكورة: الوصفية، الاستكشافية والتفسيرية، كما أن بعضها يكون مناسباً أكثر للمقاربة الاستنباطية والبعض الآخر للمقاربة الاستقرائية. ويشير Saunders et al إلى أنه لا توجد استراتيجية مفضلة على الأخرى، لكن يجدر بالباحث أن يختار الاستراتيجية –أو الاستراتيجيات- الكفيلة بالإجابة على إشكالية وتساؤلات بحثه.⁴⁴

كما يعتمد تحديد استراتيجية الدراسة على عدة عوامل منها: أسئلة الدراسة وأهدافها، مدى توفر المعلومات والوقت، بالإضافة إلى ميول الباحث الشخصية في اختيار الاستراتيجية.

V. تحديد أدوات جمع البيانات

هناك العديد من الأدوات التي تستعمل لجمع البيانات من المجتمع أو العينة محل الدراسة، أهمها: الاستبيان، المقابلة، البحث الأرشيفي والملاحظة.

1. الاستبيان

41 B. Gillham (2000) *Real World Research: The Research Interview*. 1st Ed. London: Continuum. p16.

42 M. Saunders et al, Op.cit., p145.

43 S. Sreejesh et al (2014) *Business Research Methods: An Applied Orientation*. New York: Springer. p18.

44Ibid., p141.

يعتبر الاستبيان (Questionnaire) إحدى الأدوات المكتوبة لجمع البيانات الأولية، ويعرّف بأنه مجموعة من الأسئلة المصممة بدقة، تعطى إلى مجموعة من الأفراد ذوي الخصائص المماثلة لجمع البيانات منهم حول الموضوع أو الظاهرة محل الدراسة⁴⁵. ويعد الاستبيان أهم أدوات جمع البيانات وأكثرها استعمالاً، لأنه يمكن الباحث من الوصول إلى عدد كبير من المستجوبين مقارنة بباقي الأدوات⁴⁶، بالإضافة إلى سهولة تحليل البيانات المستقاة من هذه الأداة وذلك باستعمال برامج الإعلام الآلي.

كما ويجب الانتباه جيداً إلى كيفية كتابة عبارات الاستبيان لأنها هي ما يحدد كيفية الإجابة بالنسبة للمستجوب، وبالتالي هي ما يتم الاعتماد عليه للتعبير عن الظاهرة المدروسة. لذلك، يجب أثناء كتابة عبارات الاستبيان مراعاة ما يلي:⁴⁷

- يجب أن يكتب الباحث عباراتٍ تحدد بدقة وبدون أي غموض ما يريد معرفته؛
- يجب كتابة العبارات ببساطة قدر المستطاع، مع تجنب الكلمات التقنية الصعبة والجمل الطويلة؛
- يجب صياغة عبارات الجمل من منظور المستجوب وليس المنظور الشخصي للباحث، لأن المكتسبات العلمية والخبرات التي يمتلكها الباحث تختلف عن تلك التي يمتلكها المبحوث؛
- الحرص على تسلسل الأفكار الموجودة في عبارات الاستبيان. فمثلاً، يجب على الباحث أن يسأل أولاً: هل هناك إنترنت أم لا؟ ثم يسأل: هل تفيدك الإنترنت في تبادل المعلومات؟، وليس العكس؛
- يجب ألا يحتوي الاستبيان على عدة عبارات تؤدي إلى نفس الجواب؛
- يجب اختيار نموذج الإجابة المناسب لعبارات الاستبيان، كأن يجيب المستجوب باستعمال الخيارات "غير موافق، محايد، موافق" أو "أبداً، أحياناً، دائماً" أو غيرها من النماذج.

2. المقابلة

المقابلة (Interview) هي أداة أخرى من أدوات جمع البيانات الأولية، وهي وسيلة لجمع البيانات (أو المعلومات) من خلال الاتصال المباشر مع المبحوث والتحدث معه حول الظاهرة المدروسة⁴⁸. وتكون المقابلة في شكل اجتماع أو حوار بين الباحث والمبحوث في إطار اتصال مباشر يكون إما وجهاً لوجه أو باستعمال وسائل الاتصال المتعددة مثل الهاتف أو المقابلات على شبكة الإنترنت. وهناك عدة نقاط يجب على الباحث الانتباه إليها في استعمال المقابلة كأداة لجمع البيانات، وهي:⁴⁹

45 V. Jupp, Op.cit., p252.

46 Project Management Institute (2001) *A guide to project management body of knowledge*. 4th Ed. USA: Project Management Institute, Inc. p109.

47 M. Leary (2001) *Introduction to behavioral research methods*. 3rd Ed. USA: Allyn and Bacon. p87-88.

48 Project Management Institute, Op.cit., p107.

49 W. Zikmund et al (2009) *Business research methods*. 8th Ed. USA: South-Western College. p114.

- إعداد قائمة لترتيب الأفكار التي سيتم تناولها مع المستجوب في المقابلة، وذلك لضمان الحصول على أكبر قدر من المعلومات حول الموضوع محل الدراسة؛
- التفكير في الحلول المحتملة للمشكلة المدروسة قبل المقابلة، والحرص على إيجاد بعض منها أو كلها من طرف المستجوب في المقابلة؛
- استعمال العبارات التي تشير إلى وجود مشكلة أو إلى الموضوع محل الدراسة؛
- يجب على الباحث أن يكون متفتحاً في المقابلة، أي يتقبل جميع الأفكار التي يجمعها من المستجوبين ليعالجها بموضوعية فيما بعد.

3. البحث الأرشيفي

قد يحتاج الباحث إلى بيانات تم جمعها سابقاً من قبل المؤسسة أو أي جهة أخرى وذلك لدراساتها، في هذه الحالة سيلجأ إلى البحث الأرشيفي (Archival research) كأداة لجمع البيانات المسجلة مسبقاً والتي يحتاجها. وقد تكون بيانات الأرشيف في مستندات المؤسسة أو المستندات الحكومية، كما قد تكون في مقالات علمية سابقة أو حتى مقالات الجرائد.⁵⁰ وعلى العموم، يتم اللجوء إلى بيانات الأرشيف بهدف دراسة ظاهرة معينة نشأت في الماضي واستمرت في الظهور مدة زمنية معتبرة، فيلجأ الباحث إلى جمع هذه البيانات لمعرفة كيف تطورت الظاهرة أو الموضوع محل الدراسة وما أسباب ذلك وكيف كان التصرف تجاه تطور تلك الظاهرة.

ومن أهم إيجابيات البحث الأرشيفي أنه يقدم للباحث بيانات حقيقية كونها لا تتأثر بسلوك الإنسان كما هو الحال في الإجابات على الاستبيان والمقابلة، كما تتميز بيانات الأرشيف بأنها دقيقة جداً، واضحة ومعبرة عن الواقع، كونها قد تم جمعها من النشاطات اليومية التي تقوم بها المؤسسة.

وفي مجال التسيير يلاحظ أن بحوث المحاسبة هي من أكثر البحوث استخداماً للبحث الأرشيفي كأداة لجمع البيانات من المؤسسات محل الدراسة، لأن ذلك الجانب من العلوم يهتم أكثر بتطور المعلومات المالية، لذلك نجد الباحثين في مجال المحاسبة يبحثون في أرشيف المؤسسات عن تطور رقم الأعمال، تطور رأس المال، نسبة المبيعات والتكاليف وغيرها من الأرقام. فهذا النوع من البيانات يتم الحصول عليه من البحث الأرشيفي أفضل من المقابلة أو الاستبيان.

4. الملاحظة

تعتبر الملاحظة (Observation) إحدى أقدم وأهم الأدوات المستعملة لجمع البيانات، وتقتضي أن يطلع الباحث بنفسه على الظاهرة المدروسة بغرض جمع المعلومات اللازمة حولها. وتعرف بأنها: القيام وبشكل ممنهج بالاطلاع على الظاهرة المدروسة، تسجيل المعلومات، وصفها، تحليلها وتفسيرها بغرض فهم الظاهرة المدروسة.⁵¹ وهناك نوعان من الملاحظة، الملاحظة بالمشاركة والملاحظة المهيكلية. يقوم الباحث في الملاحظة بالمشاركة (Participant observation) بالنزول إلى مكان الملاحظة بغرض المشاركة في النشاط التي يتم فيه وملاحظة الظاهرة المدروسة في نفس الوقت، ثم تسجيل الملاحظات أو جمع البيانات بالمنظور الذي يناسب توجه البحث.

50 M. Leary, Op.cit., p97

51 M. Saunders et al, Op.cit., p288.

أما في الملاحظة المهيكلية (Structured observation) فيقوم الباحث بتسجيل بيانات مقصودة محددة مسبقاً مثل الوقت أو معدل الإنتاج أو تسجيل سلوك تنظيمي معين في حالة الحدوث. وتعتبر قائمة التحقق (Checklist) أفضل تطبيق للملاحظة المهيكلية، أين يسجل الباحث مسبقاً سلوكيات معينة أو معلومات محددة، ثم يذهب للمشاركة في مكان الظاهرة المدروسة ويقوم بالإشارة إلى السلوكيات أو المعلومات المحددة في القائمة إذا لاحظها.

خاتمة

تم التطرق في هذه الورقة البحثية إلى كيفية تحديد التوقع الأبيستمولوجي للدراسات في علوم التسيير، وذلك بإبراز أهم المستويات المنهجية التي يجدر بالبحث العلمي الانتماء إليها. وكإجابة على التساؤل المطروح في المقدمة، فإن تحديد التوقع الأبيستمولوجي للدراسات يكون بتحديد الفلسفة الأبيستمولوجية (وضعية، واقعية، تفسيرية أو براغماتية)، ثم تحديد المقاربة المناسبة (استنباط، استقراء، إبعاد أو استنباط افتراضي)، وبعدها اختيار المنهج المناسب لأهداف الدراسة (وصفي، استكشافي أو تفسيري)، ثم تحديد الاستراتيجية أو الاستراتيجيات المناسبة للدراسة الميدانية (دراسة الحالة، الاستطلاع أو التجريب)، وفي الأخير المفاضلة بين أدوات جمع البيانات من المجتمع محل الدراسة (الاستبيان، المقابلة، البحث الأرشيفي أو الملاحظة).

وفيما يلي تلخيص لأهم نتائج هذه الدراسة:

- التوقع الأبيستمولوجي عبارة عن مستويات متدرجة، تبدأ من الفلسفة وتنتهي بأدوات جمع البيانات؛
- لا تقع المكونات المنهجية للبحث العلمي في مستوى أبيستمولوجي واحد، فلا يسمى الاستقراء منهجاً، ولا تسمى دراسة الحالة منهجاً أو أداة لجمع البيانات، بل يقع كل من تلك المكونات المنهجية في مستوى أبيستمولوجي معين؛
- يتوجب على الباحث تحديد أين ينتمي بحثه في كل مستوى من مستويات التوقع الأبيستمولوجي، ويكون ذلك استناداً إلى ما يسعى إلى الوصول إليه من نتائج في بحثه؛
- يكون تحديد التوقع الأبيستمولوجي مرهوناً بمدى فهم الباحث لبحثه، فإدراكه لما يريد من نتائج يساعد في تحديد الأسئلة المناسبة، ومنه تحديد التوقع الأبيستمولوجي الذي يساعد بدوره في صياغة عنوان الدراسة، إشكالياتها وفرضياتها؛
- إن تحديد التوقع الأبيستمولوجي للبحث العلمي يعطي شرعية أكبر في قبول نتائج الدراسة وإضافتها إلى الإطار المعرفي للظاهرة المدروسة؛

قائمة المراجع

1. Olsson and M. Olander (2005) Multi theoretical perspectives in an abductive action research study. 17th Annual NOFOMA Conference, Copenhagen, Denmark, June 9-10, 2005. pp. 1-12.
2. Gillham (2000) Real World Research: The Research Interview. 1st Ed. London: Continuum.
3. Robson & K. McCartan (2016) Real world research. 4th Ed. Italy: John Wiley & Sons. pp. 701-731.

- .4 Khin and T. Heng (2012) Epistemological taxonomy in management & accounting research philosophy. *Актуальні проблеми економіки*, no. 5, pp. 330-338.
- .5 J. Adams et al (2007) Research methods for graduate business and social science students. 1st Ed. USA: Sage Publications.
- .6 J. Friedrichs and F. Kratochwil (2009) On acting and knowing: how pragmatism can advance international relations research and methodology. *International Organization*, Vol. 63, No. 04, p709.
- .7 J. Gill and P. Johnson (2002) Research methods for managers. 3rd Ed. London: Sage Publications. p39.
- .8 M. Leary (2001) Introduction to behavioral research methods. 3rd Ed. USA: Allyn and Bacon.
- .9 M. Saunders et al (2009) Research methods for business students. 5th Ed. UK: Pearson Education.
- .10 P. Dobson et al (2012) Eureka moments in research: Exploring abductive processes using four case examples. 23rd Australasian Conference on Information Systems, Geelong, Australia, December 3-5, 2012. pp. 1-9.
- .11 P. Eriksson and A. Kovalainen (2008) Qualitative Methods in Business Research. 1st Ed. London: Sage Publications.
- .12 Project Management Institute (2001) A guide to project management body of knowledge. 4th Ed. USA: Project Management Institute, Inc.
- .13 S. Sreejesh et al (2014) Business Research Methods: An Applied Orientation. New York: Springer.
- .14 U. Sekaran (2003) Research methods for business: A skill-building approach. 4th Ed. USA: John Wiley & Sons.
- .15 W. Zikmund et al (2009) Business research methods. 8th Ed. USA: South-Western College.
- .16 عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات (2011) *مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث*. ط6. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.